

# النصار

## في محاربة التدخين - الرزق على الله

الخميس 29 نيسان - 2010 السنة - 77 العدد 24030

عدت الى بيروت بعد زيارة قصيرة لواشنطن حيث حضرت مؤتمرا للأكاديمية العالمية لعلم الامراض عرضت فيه الابحاث العلمية الجديدة والمتعددة في هذا الاختصاص الطبي ومنها دراسات عن تأثير دخان التبغ على صحة الانسان والتأكيد على انه اهم مسببات السرطان. بوصولي الى بيروت فوجئت ببيان المنظمة الدولية للاعلان - فرع لبنان ونقابة وكالات الدعاية والاعلان المتعلق بمشروع القانون المتداول في لجنة الادارة والعدل في المجلس النيابي الرامي الى الحد من التدخين وتنظيم صنع منتجات التبغ وتغليفها والدعاية لها. راجعت البيان تكرارا وعيناى لا تصدقان ما تقرأن وعقلي غير قادر على استيعاب ما هو مطلوب، هل من المنطقي ان تطالب هاتان المؤسستان الحاملتان الريادة في حماية الانسان بعدم تنفيذ، مشروع قانون هدفه الرئيسي حماية الانسان، لعامين على الاقل؟ هل من الجائز ان تطالب بالوصاية الحصرية والكاملة في ما يتعلق بالدعاية والاعلان في مشروع هدفه حماية صحة الانسان؟ لا احد يريد ان يعرقل قدرة هذا القطاع على حرية الاتصال مع المستهلكين، ولكن ما شعور العاملين فيه اذا كان الامعان في التصرف غير المبالي وغير المسؤول من شركات التبغ، كما هو الحال الآن في لبنان، سيكون على حساب آخرين في المجتمع وهؤلاء يشملون الاطفال وصغار السن، الشباب والشابات، النساء الحوامل وأجنتهن، كبار السن وغيرهم؟ هل يدرك القيمون ان الهدف الاول والاخير من اعلانات الترويج لمنتجات التبغ بين الشباب والشابات لجعلهم اسرى الادمان على مادة النيكوتين طوال حياتهم مما يشكل قوة شرائية لشركات التبغ لعقود طوال؟ هل يرى ان الدعاية للفتاة في ريعان عمرها هو لرميها في شبك متينة لن تتمكن من الافلات منها على حساب صحتها؟ هل يتفهم المشرفون على حملات الدعاية والاعلان ان متعهدي الحفلات للمراهقات والمراهقين من شركات التبغ يعملون تحت شعار مزيف يدعو الى الغيرة على يفعان الفتوة والرياضة السلمية للشباب وطاقة اقوى لمواجهة المستقبل المجهول؟ وهذه الشركات عينها تعارض بشدة وضع المخاطر من استعمال منتجاتها حتى للبالغين والمدخنين منهم؛ فكم بالاحرى لغير البالغين؟ هل قطاع الدعاية والاعلان مقتنع كليا بأن منتجات التبغ تؤذي صحة الانسان وتتسبب بالقتل البطيء ام لا؟ اذا كان مقتنعا كل الاقتناع فما هي الحجة في تأهيل ما هو ضار؟ هل تكون صحة وعافية قطاعهم مؤمنة على جثث اضافية خلال العامين المقبلين او اكثر؟ اذا كان هذا القطاع غير مقتنع، فالقطاع الصحي مستعد لتقديم كل الاثباتات المقنعة والتي اضحت من المسلمات العلمية التي لا تقبل الجدل العقيم. فالعديد من المؤلفات العلمية والابحاث السريرية والمنشورات الوبائية تصب في خانة محكمة واحدة جازمة للمضار العديدة من التدخين على صحة الانسان عن طريق الآلاف من السموم والمواد الكيماوية المسببة للعديد من الامراض واطرها السرطان. اين قطاع الدعاية والاعلان من شعار "فلتكن لهم حياة ولتكن حياة افضل"، حياة فيها مستقبل بعيد عن الامراض والقتل البطيء الفتاك؟

ولئلا اكون مفترياً على قطاع مهم في المجتمع اللبناني فكرت في قبول المنطق المطروح في البيان الموقر. انا اتفهم التخوف من خسارة موارد مالية للعاملين في هذا القطاع وأردد معهم المثل القائل: "قطع الارزاق من قطع الاعناق". تساءلت ما هو رد المجتمع والراي العام اذا كنت كاختصاصي في علم الامراض عارضت التنفيذ المباشر للمشروع المطروح في المجلس النيابي اسوة باخوتي واخواتي في قطاع الدعاية والاعلان بحجة ان منع التدخين في الاماكن العامة و اظهار مضر التدخين على علب منتجات التبغ والحد من الاعلانات سوف تؤدي الى انخفاض نسبة المرضى المحمولين الى غرف الطوارئ بأزمات قلبية وعدد المصابين بالسرطانات وبالتالي سينخفض دخلي؟ يا للهول ويا للمصيبة التي ستحل بي وبزملائي الاطباء اذا انخفض عدد المرضى اذا وضع هذا المشروع قيد التنفيذ! ان كان هذا هو المنطق السائد فما علي الا ان اعلن جهارا تأييدي المشروط لشركات التبغ ومنتجاتها المحلية والعالمية واسعى الى تسويقها وبهذا اكون قد امننت دخلا محترما ووفيرا لي ولأولادي غير آبه بالآخرين ومحتقرا لقسم ابقرات بأن لا اقوم بأي عمل يؤذي حياة الانسان.

ايها السادة الكرام في قطاع الدعاية والاعلان والقطاعات الاخرى، كقطاع اصحاب المقاهي والملاهي، والهيئات الاهلية المعنية بموضوع مشروع قانون الحد من التدخين؛ كونوا على قدر المسؤولية معنا. هناك مصادر مالية كبيرة للدخل الكريم ولتأمين النواحي الاقتصادية لهذا الموضوع. لقد اضحى بلدنا العزيز مركزا مهما لاظهار قدرات شبابنا وشاباتنا في حقول عديدة بالصورة الايجابية التي تستحقونها ويستحقونها. زملاؤكم في العديد من الدول التزموا الواقع الجديد وشجعوا عليه. لا يمكن اقناع الراي العام بان خطر الاعلان عن السيجارة المحرقة للشباب ستقضي على قطاع مليء بالقدرات الكفية والطاقات القادرة والافكار الخلاقة. يا سادة، "لا تقنطوا من رحمة الله"، فالرزق دوما عليه سبحانه تعالى وادعوكم الى الانضمام الى الفيلق الطويل الذي يليق بمكانتكم العالية في المجتمع وكونوا من الساعين، الان وليس غدا، الى جعل لبنان امثلة مميزة في هذا الجزء من العالم حيث حماية الفرد وصحته تفوق مصالح آنية وانانية.

**بقلم الدكتور غازي زعترى**

(رئيس دائرة الباثولوجيا والطب المخبري – الجامعة الاميركية في بيروت، ورئيس اللجنة العلمية لتنظيم المنتجات التبغية – منظمة الصحة العالمية.)